

* وليس دين الله بالمعزى ^(١) * ويقال فرقوا القول فيه فقالوا شعراً ، وقالوا سحرًا ، وقالوا كهانة ، وقالوا أساطير الأولين وقال عكرمة العضة السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضة وفي الحديث «لئن رسول الله ﷺ العاضة والمستعضة» (فاصدع بما تؤمر) أى أظهر ذلك وأصله الفرق والفتح يريد اصدع الباطل بحقك (حتى يأتيك اليقين) أى الموت

﴿غريب سورة النحل ومشكلها﴾

(أى أمر الله فلا تستعجلوه) يعنى القيامة أى هى قريب فلا تستعجلوا وأتى بمعنى يأتى وهو كما يقال أتاك الخير فأبشر أى سيأتك (يُنزَلُ الملائكة بالروح) أى بالوحي (الدفء) ما استفادت به يريد ما يتخذ من أوبارها من الأكسية والأخية وغير ذلك (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ) إذا راحت عظام الضروع والأسنمة فليل هذا مال فلان (وحين تَسْرَحُونَ) بالغداة يقال سرحت الابل بالغداة وسرحتها (بِشِقِّ الأَنْفُسِ) أى بمشقة يقال نحن بشق من العيش أى بجهد وفى حديث أم زرع «وجدنى فى أهل غنيمة بشق» (وَمِنْهَا جَائِرٌ) أى عن الطريق جائر لا يهتدون فيه والجائر العادل عن القصد (مَاءَ لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجْرٌ) يعنى المرعى قال عكرمة لا تأكل ثمن الشجر فانه سحت

(٢) أى الجزء . قال فى شواهد الكشاف : عضين ، أى أجزاء

يعنى الكلاً (وفيه تُسيمونَ) أى ترعون يقال أُسْمِتْ إبلى فسامت
 ومنه قيل لكل مارعى من الأنعام سائمة كما يقال راعية (وَتَرَى النُّلُكَ)
 أى السفن (مَوَآخِرَ فِيهِ) أى جوارى تشقُّ الماء يقال مخرت السفينة
 ومنه مخر الأرض إنما هو شق الماء لها (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ)
 أى جبالاتٍ ثوابت لا تبرح وكل شيء ثبت فقد رسا (أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) أى
 لئلا تميد بكم الأرض والميد الحركة والميل ومنه يقال فلان يميد فى مشيته
 إذا تكفأ (وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) أى متى يبعثون (قَالُوا أَسَاطِيرُ
 الْأَوَّلِينَ) أى أخبارهم وما سطر منها أى كتب ومنه قوله - ن والقلم
 وما يسطرون - أى يكتبون واحدها سطر ثم أسطار ثم أساطير جمع الجمع
 مثل قول وأقوال وأقويل ﴿قال أبو محمد﴾ وأبو عبيدة رحمة الله علينا
 وعليهما جعل واحدها أسطورة وأسطارة قل ومعناها الترهات البسباس
 وهو الذى لانظام له وليس بشيء صحيح (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ)
 أى من الأساس وهذا مثل أى أهلكتهم الله كما أهلكت من هدم مسكنه من
 أسفله فخرَّ عَلَيْهِ (فَأَلْقُوا السَّامَ) أى انقادوا واستسلموا والسلم
 الاستسلام (بِالْبَيْدَاتِ وَالزُّبُرِ) الكتب جمع زبور (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى
 تَخَوْفٍ) أى على تنقص ومثله التخوُّر يقال تخوفته الدهور وتخوته إذا
 نقصته وأخذت من ماله أو جسمه (يَتَفَيَّأُ ظِلَّالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ)
 أى تدور ظلاله وترجع من جانب إلى جانب والنهى الرجوع ومنه قيل
 للظل بالعتشى فيء لأنه فاء عن المغرب إلى المشرق (سُجِّدَ لِلَّهِ) أى

مستسلمة منقادة ﴿ش﴾ قال أبو محمد تفيؤُ الظلال رجوعها من جانب إلى جانب فهي مرة تجاه الشخص ومرة وراءه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله ومنه النفي في الإيلاء إنما هو الرجوع إلى المرأة وأصل السجود التباطؤ والميل يقال سجد البعير وأسجد إذا طوَّطىء ليركب وسجدت النخلة إذا مالت قال لييد يصف نخلاً:

* غَلَبٌ سَوَاجِدٌ لَمْ يَدْخُلْ بِهَا الْحَصْرُ ^(١) *

والقلب الغلاظ الأعناق والسواجد الموائل ومن هذا قيل لمن وضع جبهته بالأرض ساجد لأنه تطامن في ذلك ثم يستعار السجود فيوضع موضع الاستسلام والطاعة والذل كما يستعار التباطؤ والتطامن فيوضعان موضع الخضوع والانتقاد والذل فيقال تطامن للحق أي اخضع له وتطاطأ لها بخطئك أي تذلل لها ولا تعزز ومن الأمثال المتبدلة اسجد للقرد في زمانه يرجع . اخضع للسفيه والليث في دولته . ولا يراد معنى سجود الصلاة وقال الشاعر

بجمع تفضلُ البلقُ في حجراته ترى الاكَمَ منه ^(٢) سجداً للحوافر
يريد أن حوافر الخيل قد قلمت الأكم ووطئتها حتى خشعت وانخفضت
ومن خلق الله المسخر المقصور على فعل واحد كالنار شأنها الاحراق
والشمس والقمر شأنهما المسير والليل والنهار دائبين والفلك المسخر للدوران

(١) صدره : بين الصفا وخليج العين ساكنة

(١) في اللسان : ترى الاكَمَ فيها .

ومنه المسخر لمعينين ثم هو مخير بينهما كالانسان في الكلام والسكوت والقيام والقعود والحركة والسكون والشمس والظل خلقان مسخران لأنه يعاقب كل واحد منهما صاحبه بغير فصل والظل في أول النهار قبل طلوع الشمس يعم الأرض كما تعمها ظلمة الليل ثم تطلع الشمس فتعم الأرض إلا ماسترته الشُّخُوصُ فإذا ستر الشمس شيء عاد الظل فرجوع الظل بعد أن كان شمسا ودورانه من جانب إلى جانب هو سجوده لأنه مستسلم منقاد مطيع بالتسخير وهو في ذلك يميل والميل سجود وكذلك قوله عز وجل والنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ - أي يستسلمان لله تعالى بالتسخير وقوله - وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالَهُمْ بِالغُدُوءِ وَالْأَصَالِ - أي يستسلم من في السموات من الملائكة ومن في الأرض من المؤمنين طوعا ويستسلم من في الأرض من الكافرين كرها وظلالهم بالغدو والأصال مستسلمة وهو مثل قوله - وَلَهُ أُسْلِمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ رُجْعُونَ - ﴿غ﴾ (وهم دَاخِرُونَ) أي صاغرون يقال دَخَرَ لَه (ولهُ الدِّينُ وَأَصْبَا) أي دائماً والدين الطاعة يريد أنه ليس من أحد يدان له ويطاع إلا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلكة غير الله فان الطاعة تدوم له (وَإِلَيْهِ يَجَارُونَ) أي تَضِجُونَ بالدعاء والمسألة يقال جَارَ الثور يَجَارُ والضرُّ البلاء والمصيبة (وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ) هذا مما كانوا يجعلونه لأهتهم من الحظ في زرعهم وأنعامهم وقد ذكر في سورة الأنعام (وَيَجْعَلُونَ لَه الْبَنَاتِ

سُبْحَانَهُ) تنزيها له عن ذلك (وَأَيُّهُم مَّا يَشْكُرُونَ) يعنى البنين (وهو كطيم) أى حزين قد كظم فلا يشكو مابه (أَيُّمَسْكُهُ عَلَى هُونٍ) أى على هوان (أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ) أى يبيده (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) شهادة أن لا إله إلا هو (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ) من البنات (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ) أن لهم الحسنى) أى الجنة ويقال البنين (وَأَهُمُّ مَفْرُطُونَ) أى معجلون إلى النار يقال فرط منى مالم أحسبه أى سبق والفارط المتقدم إلى الماء لاصلاح الأرشية والدلاء حتى يرد القوم وأفرطته أى قدمته (نُسُقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ) ذهب إلى النعم والنعم تذكر وتؤنث والقرث ماقى الكرش قوله (مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ) لأن اللبن كان طعاماً فخلص من ذلك الطعام دمٌ وبقي منه فرث فى الكرش وخلص من الدم لبنٌ (سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) أى سهلاً فى الشرب لا يشجى به شاربيه ولا ينعص (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا) أى خمراً ونزل هذا قبل تحريم الخمر (وَرَزَقًا حَسَنًا) يعنى التمر والزبيب . وقال أبو عبيدة السكر الطعم قال ولست أعرف هذا التفسير (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) أى ألهمها وقيل سخرها والوحى يكون كلاماً ويكون إلهاماً وإشارةً وتسخييراً ورسالةً وإيماءً وإعلاماً كما مر فى سورة المائدة (وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) كلُّ شىء عرش من كرم أو نبات أو سقف فهو عرشٌ ومعرش (ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) أى من الثمرات وكلُّ هاهنا ليس على العموم ومثل هذا قوله -تدمر كلُّ شىءٍ بأمر ربها- (فاسلكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا) أى متفاداةً بالتسخير وذلل جمع ذلولٍ (وَمِنْكُمْ مَنْ

يُرَدُّ إِلَى أَرْضِ الْعُمْرِ) وهو الهرم لأن الهرم أسوأ العمر وشره (لَكَيْلًا يَعْلَمَ
 بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) أى حتى لا يعلم بعد علمه بالأمر شيئاً لشدة هرمه (وَاللَّهُ
 فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ) يعنى فضل السادة على المماليك (فَمَا
 الَّذِينَ فَضَّلُوا) يعنى السادة (بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ
 فِيهِ سَوَاءٌ) أى لا يجعلون أموالهم لمبيدهم حتى يكونوا والعبيد فيها سواء
 وهذا مثل ضربه الله لمن جعل له شريكاً من خلقه (بَنِينَ وَحَفَدَةً)
 الحفدة الخدم والأعوان ويقال هم بنون وخدم ويقال الحفدة الأصهار
 وأصل الحفد مداركة الخطو والاسراع فى المشى وإنما يفعل هذا الخدم
 فقيل لهم حفدة واحدهم حافد مثل كافر وكفرة ومنه قيل فى دعاء الوتر
 وإليك نسعى ونحفد قوله (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا
 مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا) ونصب شيئاً بإيقاع رزق عليه أى يعبدون
 ما لا يملك لهم أن يرزقهم شيئاً كما تقول هو يخدم من لا يستطيع إعطائه
 درهما ﴿ش﴾ (ضرب الله مثلاً عبداً مملوفاً لا يقدر على شيء) ﴿قال
 أبو محمد﴾ هذا مثل ضربه الله لنفسه ولمن جعل إلهاً دونه أو معه لأنه
 عاجز مدبر مملوك لا يقدر على نفع ولا ضرر ثم قال (ومن رزقناه ممناً
 رزقاً حسناً فهو يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهراً هَلْ يَسْتَوُونَ) فهذا مثله جل وعز
 لأنه الواسع الجواد القادر الرزاق تباده جهراً من حيث يعلمون وسراً من
 حيث لا يعلمون . وقال بعض المفسرين هو مثل للمؤمن والكافر والعبد
 هو الكافر والمرزوق هو المؤمن ﴿قال أبو محمد﴾ والتفسير الأول أعجب

إلى لأن المثل توسط كلامين هما لله عز وجل أما الأول فقوله - ويعبدون
من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون -
فهذا لله ومن عبد من دونه وأما الآخر فقوله بعد انقضاء المثل (الحمد لله بل
أكثرهم لا يعلمون) ولأنه ضرب لهذا المعنى أيضا مثلا آخر يعقب هذا الكلام
فقال (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ) أى أخرس (لَا يَقْدِرُ
عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ) أى عيال وثقل على قرابته ووليّه (أَتِنَمَا
يُوجِبُهُ لآيَاتِ مَجْزِيَةٍ) فهذا مثل آلهتهم لأنها بكم صم عمى ثقل على
من عبدها فى خدمتها والتعبدها وهى لاتأتيه بخير ثم قال (هَلْ يَسْتَوِي
هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) فجعل المثل لنفسه
(وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا) يعنى قباب الأدم
وغيرها (تَسْتَخِفُّونَهَا) فى الحمل (يَوْمَ ظَعْنِكُمْ) يوم سفركم (وَيَوْمَ
إِقَامَتِكُمْ) (والأنثاء) متاع البيت من الفرش والأكسية قال أبو زيد
واحدا الأنثاء أنثاءة (والله جعل لكم مما خلق ظلالات) أى ظلال
الشجر والجبال (والسراويل) القمص (تقيكم الحر) والبرد فاكتمى
بذكر أحدهما إذ كان يدل على الآخر كذلك قال الفراء (وسراويل
تقيكم بأسكم) يعنى الدروع تقيكم بأس الحرب (يعرفون نعمة الله)
أى يعلمون أن هذا كله من عنده ثم ينكرون ذلك بأن يقولوا هو
شفاة آلهتنا (الأنكاث) مانقض من غزل الشعر وغيره واحدها نكث
يقول لا توكدوا على أنفسكم الإيمان والمهود ثم تنقضوا ذلك وتمشوا

فتكونوا كامرأة غزلت ونسجت ثم نقضت ذلك النسج فجعلته أنكاثاً ﴿وقال في المشكل﴾ (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا) الآية هذا مثل ضربه الله عز وجل لمن عاهده وحلف به فقال تعالى (أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) فتكونوا إن فعلتم كامرأة غزلت غزلاً وقوت مرته وأبرمته فلما استحکم نقضته فجعلته أنكاثاً والأنكاث ما نقض من أخلاف بيوت الشعر والوبر ليغزل ثانية ويعاد مع الجديد وكذلك ما نقض من خلف الخبز ومنه قيل لمن أعطاك بيعته على السمع والطاعة ثم خرج عليك ناكث لأنه نقض ما كان أكد على نفسه بالأيمان والعهود كما تنقض الناقة غزلها ثم قال عز وجل (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَ نَكَمٌ دَخَلًا يَدِينَكُمْ) أي دغلاً وحياً (أَنْ تَكُونُ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) أي لأن يكون قوم أغنى من قوم وقوم أعلى من قوم (تريدون) أن تقتطعوا بأيمانكم حقوقاً لهؤلاء فتجعلوها لهؤلاء وقال المفسرون والتي نقضت غزلها هي امرأة من قريش وكانت حمقاء تغزل الغزل من الصوف أو الشعر والوبر بمغزل في غلظ الذراع وصنارة في قدر الأصبع وفلكة عظيمة فاذا أحكمته أمرت خادمها فنقضته ﴿غ﴾ (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَ نَكَمٌ دَخَلًا يَدِينَكُمْ) أي دغلاً وخيانة (أَنْ تَكُونُ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) أي أغنى من فريق (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) لم يرد أنهم بابليس كافرين ولو كان هذا هكذا كانوا مؤمنين وإنما أراد الذين هم من أجله مشركون بالله وهذا كما يقال

صار فلان بك علماً أى من أجلك (وإذا بدلنا آية مكان آية) أى نسخنا آية بآية (يُلحِدُونَ إِلَيْهِ) أى يؤمنون ويزعمون أنه يعلمك وأصل الالحاد الميل (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا) أى فتح له صدره بالقبول (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا) أى يأتى كل انسان يجادل عن نفسه غداً (رَغَدًا) كثيراً وأسماً (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا) اليهود (كَانَتْ أُمَّةً) أى معلماً للخير يقال فلان أمةٌ وقد مرّ هذا فى المشكل فى البقرة ومن الاستعارة قوله عز وجل (فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) قال أبو محمد أصل الذوق بالفهم ثم قد يستعار فيوضع موضع الابتلاء والاختبار ومنه يقال فى الكلام ناظر فلانا وذوق ما عنده أى تعرّف واختبر واركب الفرس وذوقه قال الشماخ فى وصف قوس

فذاق وأعطته من اللين جانباً كفى ولها أن يفرق البهم حاجز^(١)

يريد ذاق القوس بالترع فيها ليعلم أليته هى أم صلبة . وقال الآخر

وإن الله ذاق حلوم قيسٍ فمّا رأى خفتها قلاها

وهذه الآية نزلت فى أهل مكة وكانوا آمنين بها لا يفار عليهم مطمئنين لا ينتجعون ولا ينتقلون فأبدلهم الله بالأمن الخوف من سرايا رسول الله وبموته وبالكفاية الجوع سبع سنين حتى أكلوا القدر والعظام - ولباس الجوع والخوف - ما ظهر عليهم من سوء آثارها بالضمور والشحوب ونهكة البدن وتغير الحال وكسوف البال وقال فى موضع آخر (ولباس

(١) قال فى اللسان : كفى ولها أن يفرق النبل حاجز .